العربية (حتى ولو انطلقنا من مواقع الكاتب نفسه ... للذي يحب الكاتب ان يذكرنا به ، حركة « شيطانية » و« لا اخلاقية » تريد ان تسيطر على العالم باسره من خلال مخططات جهنمية مثيرة . طبعا نحن لا ننفي عن الصهيونية جرائمها وعنصريتها وعدوانيتها الا انه من السخف والغباء تحميلها قدرة سحرية وشيطانية واعتبارها ظاهرة خارقة للعادة تتحكم بمصير العالم وتسيره كما تشاء . ويكفي ان نذكر ان هذا المنطلق يقود بعض القوى المعادية لحركة الثورة العربية الى اعتبار الشيوعية العالمية « اختراع جهنمي » من اختراعات اليهودية العالمية حتى ندرك المغزى المبطن والحقيقي لمثل هذه التفسيرات . بكلمة أخرى ، ان هذا المنطق يهدف في النهاية الى تبرئة ساحة الاستعمار — الاميركي بشكل خاص — وتصويره بمظهر العملاق المخدوع الذي لا يعرف مصلحته الحقيقية. ان فيكتور نصر بتبنيه لهذه الافكار يساهم مساهمة اكيدة في تشويه القضية الفلسطينية ويخدم موضوعيا — من حيث يدري او لا يدري — سياسة الولايات المتحدة الاميركية العدوانية والاستعمارية تجاه الشعب العربي . لو ان فيكتور نصر كلف نفسه عناء اعادة قراءة تاريخ العرب المعاصر لادرك ولا شك ان الصهيونية — وليست اليهودية — ليست سوى ظاهرة استعمارية كغيرها من الظواهر التي شهدها القرن التاسع عشر الاوروبي ، وهي رغم تمايزها وتفردها ببعض الخصائص الذاتية فانها في التحليل الاخير جزء لا يتجزأ من الاستعمار في أعلى مراحله وأبشعها وأشرسها . لو ان فيكتور نصر قرأ التاريخ العربي بامعان لادرك بكل تأكيد ان اسرائيل ما هي الا مشروع استعماري صرف بدأ يختمر في الدوائر الاوروبية الحكومية منذ بداية القرن الماضي وبشكل أخص منذ ان بدأ محمد علي يشكل خطرا حقيقيا — عندما ربط سوريه بمصر — على مطامع اوروبا في اقتسام اجزاء « الرجل المريض » . اما الدين اليهودي فلم يكن الا وسيلة استغلت أبشع استغلال لتوفير غطاء اعلامي لمشروع زرع اسرائيل في قلب الوطن العربي لتكون عامل تجزئة دائمة وقاعدة متقدمة من قواعد الاستعمار في المنطقة . وهذا كله ان دل على شيء فعلى ان الصهيونية لا تقود العالم بل هي مجرد أداة استعمارية ذات طبيعة متميزة ومجرد ثمرة من ثمرات الامبريالية العالمية تماما كجنوب افريقيا وروديسيا والبرتغال وغيرها ... اما القول بأن الولايات المتحدة الاميركية تقع تحت

اي من الابحاث بالديمقراطية البرلمانية الشكلية) انه يرفض ان يرى في سياسة الولايات المتحدة الاميركية شيئا آخر غير سوء الفهم وعدم النضج السياسي ، وها هو يتساءل بكل « سذاجة » : « هل تؤمن الولايات المتحدة باخلاص بأن سياستها الحالية تخدم قضية الديمقراطية وتساهم في ابعاد شبح الشيوعية عن الشرق الاوسط وكل حوض البحر الابيض المتوسط ؟ هل تؤمن الولايات المتحدة حقا بأن سياستها الحالية تخدم المصالح الاميركية الضخمة في العالم العربي ؟. ألم نلاحظ بعد بوضوح ان غزو الاسطول السوفييتي للبحر المتوسط هو نتيجة مباشرة لجهلها او انكارها لمصالحها الحيوية ومبادئها الاكثر قدسية ؟ »

ان كل هذه التساؤلات التي يكاد لا يخلو منها أي فصل من فصول هذا الكتاب ان دلت على شيء فعلى جهل مطبق بحقيقة الصراع الذي تخوضه الثورة العربية ضد اعدائها المعلنين والمتسترين وعلى محاولة متعمدة ومشبوهة للتخفيف من مسؤولية الولايات المتحدة الاميركية كعدو أساسي في هذا الصراع . ان تصوير السياسة الاميركية المعادية لامال العرب في التحرر والوحدة والتقدم وكأنها نتيجة « تخل عن الموضوعية » (الفصل الرابع) او « سخاء غربي متواطىء » (الفصل السابع) او « خطوات خاطئة » (الفصل العاشر) أو « عدم نضوج سياسي » او سيطرة اليهودية العالمية والصهيونية على مقدرات الاقتصاد الاميركي اي تصوير الولايات المتحدة وكأنها ضحية أو أداة بيد الصهيونية الخ ... ان كل هذا لا يعدو كونه الا محاولة تمويهية تهدف بالدرجة الاولى الى تبييض صفحة الولايات المتحدة الاميركية زعيمة الاستعمار الجديد واعطاء صورة سطحية ومشوهة عن طبيعة الصراع الذي تخوضه الامة العربية في تاريخها المعاصر .

والخطير في هذا التصور هو أنه يلغي دور الاستعمار بشكل اعتباطي (على اعتبار ان الاستعمار لم يعد له وجود وان معظم الدول الصغيرة قد نالت « استقلالها » في هذا العصر) ويحصر الصراع بين العرب واليهود ويحمل الصهيونية المسؤولية « كل المسؤولية » في كل مشكلات العالم المعاصر باعتبارها « استنادا الى ما ورد في كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون »